

أضواء البيان

@ 189 { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا ۖ لَا يَرْكَعُونَ وََيُلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ } فقوله تعالى : { وَيُلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ } كقوله هنا { وَيُلُّ لِّلْكُلِّ أَفْوَاجٍ أَتْرِيمِ } . . . وقد كرر تعالى وعيد المكذبين بالويل في سورة المرسلات كما هو معلوم وقوله في آخر المرسلات : { فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ } كقوله هنا في الجاثية : { فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّامِ وَأَيَّاتِهِ يُؤْمِنُونَ } . ومعلوم أن الإيمان بالـ [على الوجه الصحيح ، يستلزم الإيمان بآياته ، وأن الإيمان بآياته كذلك يستلزم الإيمان به تعالى ، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة { يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّامِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا ۖ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } يدل على أن من يسمع القرآن يتلى ثم يصير على الكفر والمعاصي في حالة كونه متكبرا عن الانقياد إلى الحق الذي تضمنته آيات القرآن كأنه لم يسمع آيات [، له البشارة يوم القيامة بالعذاب الأليم وهو الخلود في النار ، وما تضمنته هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في غير هذا الموضع كقوله تعالى في لقمان : { وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا ۖ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِى أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ } وقوله تعالى في الحج : { وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ الْمُنْكَرُ يَكَادُ يُغْتَابُونَ ۚ يَسْمُطُونَ بِالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قُلْ أَفَأَنْزِلْتُكُمْ بَشِيرًا مِّن ذَالِكُمْ ۚ النَّارُ وَعَذَابُ اللَّامِ ۚ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَبَشِيرُ ۖ الْمَصِيرُ } وقوله تعالى : { وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا ۚ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنِفًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } ، فقوله تعالى عنهم : ماذا قال آنفاً . يدل على أنهم ما كانوا يبالون بما يتلو عليهم النبي صلى [عليه وسلم من الآيات والهدى . . .

وقد ذكرنا كثيراً من الآيات المتعلقة بهذا المبحث في سورة فصلت في الكلام على قوله تعالى : { فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ ۖ لَا يَسْمَعُونَ } وَقَالُوا ۚ قُلُوبُنَا فِى أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ۚ وَفِىٓ أَعَانِنَا وَقُرْ ۚ وَمِنْ بَيِّنَاتٍ وَبَيِّنَاتٍ حُجَّتُكَ } . . .

وقوله تعالى في هذه الآية . { كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا } خفت فيه لفظة كأن ، ومعلوم أن كأن إذا خفت كان اسمها مقدراً وهو ضمير الشأن والجملة خبرها كما قال في الخلاصة :
كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا { خفت فيه لفظة كأن ، ومعلوم أن كأن إذا خفت كان اسمها مقدراً وهو ضمير الشأن والجملة خبرها كما قال في الخلاصة :